

مؤامرة على مصر

وانك عبد الفتاح

اللعبة تعاد بكل ملل. الأنظمة العربية تعتبر معارضتها مؤامرة دولية. غريزة ما في هذه الأنظمة تدفعها إلى تخيل المؤامرة وتصديقها. صحف نظام مبارك مثلاً تحدثت في تلاحق مريب عن دعم إيراني وأميركي لحركة البرادعي. في الأولى نقلت عن صحيفة «السياسة» الكويتية قصة الـ 7 ملايين يورو التي أرسلتها الجمهورية الإسلامية عبر ثري عربي إلى البرادعي. القصة ببهاراتها «طبيخ بايت»، لكنه خرج من مطابخ محترفة في نشر الروائح الكريهة على خصومها. هذه المرة جاءت الصدقية من الخارج أيضاً، صحيفة كويتية تنتمي إلى «مبارك»، أكثر من صحف الرئيس الذي يعدو إلى سنته الثلاثين في الحكم بخفة صبي يسافر إلى إيطاليا ليقابل حليفه برلوسكوني، الذي لم يتوقف أحد في هذه الصحف أمام قصة دعمه لبناء سد إثيوبيا على منابع النيل، الذي تعدّه مصر تهديداً لأمانها المائي.

تحالفات الرئيس فوق مستوى الشبهات، وتمثّل مستوى «الوطنية» المطلوب، بينما المعارضة لا بد أن تخضع لحملة تفتيش عن وطنيتها لتثبت أنها مصرية أباً عن جد، ولهذا فالصحف نفسها التي رُوّجت بكل نية صافية لقصة الملايين الإيرانية، هاجمت المعارضة، وعلى رأسها البرادعي، على أنها دمي تحرّك من واشنطن.

إيران أم أميركا؟ المهم أن تكون الدولة قابلة للتحويل إلى «عدو» مقبول عند العامة، الذين لا يزال معظمهم يتعامل مع الحاكم على أنه نصف إله. يختلفون معه لكنه «سيد البلاد، وصانع قيمها». هكذا فإنّ نظام مبارك حليف أميركا الأول في المنطقة يتهم معارضيه بالعمالة لأميركا.

مفارقة عصية على فهم الشخص العادي الذي يتابع السياسة على أنها فيلم بوليسي نهايته معروفة.

القصص كلها تتغير ببطء، لكن لا تزال مطابخ نظام مبارك تحبك الاتهامات نفسها لتلعب على «لا وعي» يرى أن مصر هي الرئيس، وأنه موجود ليس بإرادة شعبية، لكنها قوة «ميتاسياسية» هي التي اختارته، وهي التي ستصنع خليفته.

هذه هي الصورة المستقرة عند ملايين، يعتبرون على الرئيس غفلته عن حاشية مفرطة في الأنانية، سرقت العدل من الليكياتور، ليصبح استبداده خشناً، كل آمال المجتمع المحتقن تتلخّص في ظهور «ديكتاتور عادل».

صنّاع الفضائح السياسية يعرفون جمهورهم، وأسهموا في تربيته ببراعة كهنه قدامى، ويلعبون جيداً على «اللاوعي» الذي يجعل الخروج عن النظام مؤامرة الخارج الشرير على الداخل السعيد.

وهذا مدخل أوحى بفكرة مدهشة لطهارة النظام، استفادوا منها في الأزمة على النيل، وبدلاً من الاعتراف بفشل إدارة العلاقات مع دول المنبع، اختصروا في «المؤامرة» الجانب الإسرائيلي، البعبع الذي يجعل الشعب يجيش في صف النظام ألياً.

المؤامرة الإسرائيلية موجودة، لكنها قديمة وفي إطار صراع لم ينته باتفاقية كامب ديفيد، وهو إدراك لا يحتاج إلى ذكاء باهر. ذبول الصراع لا تزال تلعب، ولا تكفيها استعارات من الزمن الناصري وأناشيده، أو الحديث عن الغيرة أو المنافسة على أدوار أخرجتها السياسة المصرية من حساباتها في زمن «حكمة» الرئيس مبارك.

حكمة بدأت بالانسحاب، ليس في إعادة صياغة «الوجود السياسي». والمنسحب لا يفرض شروطاً، ولا يضمن حقوقه، ولا يوفّر الحصار الذي حوّل مصر من دولة لها حضور إقليمي، إلى دولة لها شكاوى من الإقليم.

تشكو مصر من إصابع إيرانية، ومؤامرة أفريقية، وتطاولات عربية، بينما لم تستطع مثلاً حماية مصالحها في الجزائر من تأثير الغوغاء. حكمة النظام غابت هنا بعدما كانت مصر هي المستثمر الأول في الجزائر (بعيداً عن استثمارات قطاع البترول).

كان هذا واحداً من نجاحات مصرية، ونموذجاً للتعاون الاقتصادي العربي - العربي، بعيداً عن أشجان العروبة ونشر جيوشها على جبال الجزائر. وصلت الاستثمارات إلى 8 مليارات دولار، وتجاوز عدد العاملين المصريين 11 ألفاً قبل أزمة كرة القدم.

الكرة أفسدت النموذج، وترك حكماء مبارك الأمر لغوغائية دمّرت ما بنته سياسة المصالح، وبدأ أنّ مصالح أخرى تدير السياسة لتصبح «كرة القدم» جهاد العصر، ولاعبوها محرّري البلاد وأبطالها، لتصنع هوية ما لأنظمة طالت واستطالت وتريد الاستمرار عبر وراثة عائلية (الأب أو الأخ).

لم تستخدم مصر عقلانيتها مع الجزائر، كما تستخدمها مع إسرائيل، ولم تحتفظ، إلا بالمرارات والبكاء، على دور «الشقيقة الكبرى»، مقابل الاستسلام لخطاب تحريضي بدت فيه مصر على خط النار الجديد: ملاعب الكرة.

أحمد عدنان *

جمال خاشقجي

بعد إقالة الصحافي جمال خاشقجي للمرّة الأولى من رئاسة تحرير صحيفة «الوطن» السعودية عام 2003، جاء الآن دور إقالته الثانية، التي أتت مغلّفة هذه المرّة باستقالة تحت ذريعة التفرّغ للأعمال الخاصة. فما قصة هذه الاستقالة؟ وأي دور للصحافة السعودية من بعدها؟

يستقبل من صحيفة ناجحة؟ أنا من أبناء الوطن وهي بيتي، هل هناك شخص يترك بيته». ويعود السبب إلى نشر مقال إبراهيم طالع الأملعي بتاريخ 13/ 5/ 2010 تحت عنوان «السلفية ومقام سيدي عبد الرحمن»، الذي وجّه فيه الكاتب نقداً مباشراً وقاسياً إلى الفكر السلفي، وكان التاريخ يعيد نفسه. فقد أقبل خاشقجي للمرة الأولى بسبب نشر مقال للكاتب خالد الغنامي انتقد فيه - هو الآخر - بصراحة إحدى فتاوى ابن تيمية بعد تقارير متعددة أعدتها الصحيفة انتقدت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والحديث عن حال صحيفة «الوطن» بحاجة إلى توسّع، إذ يبدو غريباً أن لا يغادرها رؤساء تحريرها إلا بإقالة سياسية كما حصل مع قينان الغامدي وجمال خاشقجي (في الفترة الأولى)، أو بإقالة إدارية (أو إجبار على الاستقالة) كما جرى مع طارق إبراهيم. وأجدي حائراً تماماً مع حالة الإقالة الثانية لخاشقجي إن كانت تستحق التصنيف ضمن خاتمة الإقالة السياسية أو الإدارية.

جمال خاشقجي أحد أبناء المدينة المنورة، ولعل بداية اهتمامه بالعمل الصحافي تعود إلى تأثره بمجلة «الحوادث» اللبنانية ومقالات رئيس تحريرها الراحل سليم اللوزي. ترأس تحرير صحيفة «المدينة» في مرحلة مبكرة، ولكنه استقال بسبب عدم اعتراف رئيس مجلس الإدارة آنذاك، الشيخ أحمد صلاح جمجوم، بقدراته لصغر سنه - كان في مطلع الثلاثينيات من عمره في ذلك الوقت - وسبق له العمل في شركة «تهامة» للنشر والإعلان، واستقال منها بسبب اعتراضه على بيع أفلام فيديو في مكاتب الشركة.

ولكن لمعان اسم خاشقجي تجلّى في صحيفتي «الشرق الأوسط» و«الحياة» ومجلة «المجلة»، وخصوصاً في تغطية أخبار ووقائع الجهاد الأفغاني وجماعات الإسلام السياسي حتى شاع بقوة انتماءه إلى جهاز الاستخبارات السعودي، وتولى منصب نائب رئيس تحرير في صحيفة «عرب نيوز» قرابة الأربع سنوات، قبل أن ينتقل إلى رئاسة تحرير «الوطن» في المرة الأولى.

وبين فترتي «الوطن»، عمل خاشقجي في السلك الدبلوماسي مستشاراً للامير تركي الفيصل، الذي كان سفيراً للملك في لندن ثم واشنطن. وكان خاشقجي منذ وصل إلى مرحلة النضج الفكري والمهني يُعرف بأنه الصوت الأقدر على شرح وجهة نظر النظام السعودي في قضايا

من المؤسف أن تأتي كتابتي عن جمال خاشقجي دائماً في ظروف حزينة. فقد كتبت عنه في صحيفة «إيلاف» الإلكترونية بعد الإقالة الأولى من رئاسة تحرير صحيفة «الوطن» خلال عام 2003 إثر ولاية لم تتجاوز الشهرين، وذكرت في ذلك المقال

بقصة أم كلثوم حين أرادت أن تغني قصيدة «وُلد الهدى» لأحمد شوقي، وطلب منها «القصر» أن تحذف البيت الأشهر من القصيدة: «الاشتراكيون أنت إمامهم... لولا دعاوى القوم والغلواء»، وكيف أنّ أم كلثوم رفضت حذف البيت وقالت - وفق حديث الرواة - إنّ القصر الذي يهتز بيت في قصيدة، أيّاً كان قائلها أو مؤديها، قصر مهذّب بالزوال... أو لا يستحق البقاء!

وكانت وجهة نظري أن النظام السعودي يتمتع بقبول جارف وشعبية حقيقية في الشارع السعودي، لذلك لا يليق به أن يقبل رئيس تحرير أو يوقف كاتباً، وهذا تصرف لا يليق إلا بالأنظمة الهشة والهزيلة. ولعلي بعد مراجعة النفس، وددت لو لم أكتب ذلك المقال بتلك الصياغة الحادة والصدامية.

واليوم، تأتي المناسبة الثانية، وهي استقالة خاشقجي من رئاسة تحرير الوطن في ليلة عقد قرانه. والفارق بين الحادثتين يتمثل في أن

خاشقجي مهني هوال
للنظام عن صدق، ويؤيد
سياسته الخارجية لكنه قد
يختلف مع السياسة الداخلية

الحادثة الأولى ظهرت في إطار إقالة صريحة، أما الثانية، فأنت مغلّفة باستقالة تحت ذريعة التفرّغ للأعمال الخاصة!

وحسماً لأيّ التباس، أود أن أؤكد استناداً إلى صحيفة «مصدر» الإلكترونية ومصادر خاصة، أن جمال خاشقجي قد أجبرته إدارة صحيفة «الوطن» على الاستقالة. ولعل تصريح خاشقجي نفسه لصحيفة «الرأي» الكويتية بتاريخ 17 أيار/ مايو 2010 يؤكد هذا الاتجاه: «الوطن صحيفة ناجحة جداً، هل هناك شخص



وزير الداخلية السعودي نايف بن عبد العزيز



الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز

الزخار
تأسست عام 1953
تصدرت شركة «أخبار بيروت»
مدير التحرير خالد صافية ■ سكرتير التحرير حسنة الزين ■ مجلس التحرير
عربيات دوليات إيلي شلهوب، نقاشة ييار ابي صعب، مجتمع ضحك شمس،
رياضة علي صفا، عدل عمر نشابة، افتصاد محمد زبيب،
المحدير الفتي اميل منعم

رئيس التحرير المؤسس
جوزف سماعة
(2007-2006)
مستشار مجلس التحرير
انسجي الحاج

الإعلانات Tree Ad 01/ 611115 - 03 / 252224
شركة اللواتك 01/ 666314 - 03 / 828381
التوزيع

السادس ■ تلافكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 113/5963
www.al-akhbar.com